كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية بعد ظهور الإسلام بقليل

الأستاذ الدكتور تركي رابح عمامرة

جامعة الجزائر

سوف أتناول الموضوع حسب المحاور التالية:

- اللغة ظاهرة اجتماعية.
- كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية بعد ظهور الإسلام

أ . حركة تعريب الدواوين الإدارية.

ب . حركة تدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية.

ج . حركة ترجمة من مختلف اللغات إلى اللغة العربية.

- دور بيت الحكمة في بغداد في تطوير اللغة العربية.
- جمود اللغة العربية في عصر الانحطاط.
- أعداء اللغة العربية في العصر الحديث.
- دور المبشرين المسيحيين في محارة اللغة العربية.
- دور الاستعمار الأوروبي في محاربة اللغة العربية.
- اللغة العربية تنتصر على أعدائها.
- اللغة العربية لغة عالمية "العصر الحديث"
- مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي.
- مكانة اللغة العربية في العالم غير الإسلامي .
- اللغة العربية لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة.
- اللغة العربية لغة رسمية في منظمة الوحدة الإفريقية .
- اللغات الرئيسية في العالم اليوم.

اللغة ظاهرة اجتماعية:

...تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تنعكس عليها وكذلك من خلالها كل الظواهر التي تسود المجتمع من رفعة أو انحطاط ومن تقدم أو تأخر، ومن نهوض أو كبوة ولذلك فإن اللغة تنهض بنهوض المجتمع وتطوره، وتسقط

بسقوط المجتمع وتأخره ومن هنا لا يمكننا أبدا أن نجد في العالم سواء في القديم أم في العصر الحديث، لغة متطورة في مجتمع متأخر حضاريا وصناعيا كما لا يمكننا أن نجد من ناحية أخرى مجتمعا متقدما حضاريا، وصناعيا وفي نفس الوقت لغته التي يتكلمها، ويثقف أبناءه بها، ويسير بها شؤونه الاقتصادية والاجتماعية والإدارية متأخرة أو بدائية، لأن التقدم والحضارة والصناعة تقوم كلها باللغة ، وعلى أساس اللغة، فاللغة هي المحتوى، وهن المضمون، وهي المرآة لكل حضارة وثقافة سواء كانت متقدمتين مزدهرتين، أم مختلفتين منكمشتين ولذلك فإن التقدم أو التأخر مرتبطان باللغة ارتباطا وثيقا صعودا أو هبوطا واللغة العربية لم تشذ عن هذه القاعدة طوال مراحل حياتها حتى الآن، فقد كانت لغة بسيطة ومحدودة المضامين، العلمية، والحضارية، يوم كان المجتمع العربي نفسه بسيطا ويعيش في عصر البداوة قل الإسلام ثم أصبحت لغة متقدمة ومتطورة يوم أن أصبح هذا المجتمع نفسه بعد الإسلام مجتمعا متقدما علميا وحضاريا، بعد احتكاكه بحضارات وثقافات البلدان التي فتحها المسلمون بحيث صارت اللغة العربية (بلا مراء لغة الجنس البشري الحضارية في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره، وبأحدث ما يجرى فيه من علوم، أن يتعلم اللغة العربية[1].

... كيف أصبحت العربية لغة عالمية بعد ظهور الإسلام؟

عندما خرج العرب المسلمون لنشر الدين الإسلامي في الممالك التي كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية مثل العراق وغيره والممالك التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية في بلاد الشام، مصر وشمال إفريقيا والأندلس

[1]- مجلة (عالم الفكر) المجلد الثامن العدد الأول، مايو (أيار)، يونيو (حزيزان سنة 1977م، ص3 الكويت.

واستطاعوا خلال فترة تاريخية قصيرة نسبيا أن يخضعوها لحمهم، وينشروا فيها الدين الإسلامي، ولغة القرآن الكريم، وجدوا تلك الأمم التي خضعت لهم دينيا، وسياسيا، وعسكريا هي من الناحية الثقافية، والعلمية، أرقى منهم حضاريا، وأغزر منهم ثقافيا، كما أن لغاتهم هي الأخرى من الناحية العلمية والإدارية والفنية كانت أرقى وأغزر من اللغة العربية التي كانت فقيرة لغويا في الأساليب العليمة والإدارية بالمقارنة مع اللغة الفارسية، واللغة الرومانية, واللغة اليونانية، وهن اللغات التي كانت في ذلك الوقت لغات العلم،و الفلسفة، والطب، والمنطق، والفلك، والرياضيات، والإدارة والاتصالات الدولية في العالم القديم، لمدة قرون عديدة قبل الإسلام وعند ظهوره، وفي البداية ترك العرب الأمور الإدارية والمالية لدى الشعوب التي فتحوها تجرى باللغات التي كانت تسير بها قبل الفتح الإسلامي لأن اللغة العربية لم تكن متعودة على ممارسة الأمور الإدارية والمالية من ضرائب، وخراج وتسيير إلى آخره قبل الإسلام حتى تستطيع أن تقوم بنفس المهمة بعد الإسلام.

... هذا بالإضافة إلى انشغال العرب المسلمين طوال معظم القرن الأول الهجري بأمور الفتح والجهاد ومصارعة أعداء الإسلام في الداخل، وعلى حدود الدولة الإسلامية الناشئة في الخارج، واستمر هذا الوضع حتى خلافة عبد المالك بن مروان الأموي[2]، الذي تمت في عهده عملية تعريب الدواوين أو الإدارة الحكومية في الدولة العربية الإسلامية الناشئة كما سنشير إلى ذلك بعد قليل.

... لقد تنبه العرب المسلمون إلى التناقص الذي كان يسود أوضاع الدولة الإسلامية في الممالك التي انضوت تحت لوائها، وهو بقاء اللغات غير

---

[2]-تولى الخلافة بعد أبيه مروان بن عبد الملك في عام 65 هجرية وقد استمر في الحكم واحدا وعشرين عاما (65-86 هـ)

العربية سائدة المجالات المالية والإدارية، والعلمية وانحصار اللغة العربية في مجالات محدودة هي المجالات الدينية والأدبية، وديوان الجند فقط.

... فالدولة عربية إسلامية، ولغة الدين والقرآن عربية، ولغة الحكام هي اللغة العربية، ولغة الدواوين والإدارة غير عربية، إن بقاء هذا الوضع الشاذ بدون علاج جدري وسريع، يشكل تهديدا خطيرا لا على مستقبل الحكم العربية الإسلامي، في تلك الأقطار فقط، ولكن كذلك على مستقبل اللغة العربية نفسها، باعتبارها لغة الدين الذي تقوم على أساسه الدولة الإسلامية، والرابطة المتينة التي تربط بين كافة القاطنين في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة الأطراف، فإذا بقيت بعيدة عن شؤون الإدارة والمال، والتسيير فإن تلك الرابطة قد تنفصم عراها في يوم من الأيام وبالتالي يدب الانحلال والاضمحلال غلى الدولة الإسلامية.

وقد ظهر في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، وطوال القرنين الثاني والثالث الهجريين عدد من الحركات الثقافية والعلمية والإدارية لتدارك وضعية اللغة العربية، إداريا ولغويا، وعلميا في وقت واحد، لكي تصبح لغة عالمة يمكن إيجازها في الحركات التالية:

أ . حركة تعريب الدواوين الإدارية.

أما الحركة الأولى فقد توجهت صوب تعريب إدارة الدولة وشؤون المال والضرائب، لقد كانت الدواوين في العراق وما جاوزها يجري العمل فيها باللغة الفارسية، وكانت الدواوين في بلاد الشام ومصلا وشمال إفريقيا يجري العلم فيها باللغة الرومية وكانت الدواوين في الأندلس يجرى العمل فيها باللغة اللاتينية.

وقد أمر عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي بتعريب الدواوين لأنه أدرك بثاقب فكره خطورة الازدواج اللغوي[3]على كيان الدولة الإسلامية، وعلى مستقبل اللغة العربية، وهن لغة القرآن إذا لم يعجل بتعريب الدواوين، وتوحيد لغة المعاملات الإداري، مع لغة الدين والعبادات بحيث تصبح لغة المجتمع الإسلامي العربية لغة واحدة هي اللغة العربية سواء في المساجد والمحاكم، ومعاهد التعليم، أو في الشؤون الإدارية والمالية والدبلوماسية وغيرها من شؤون الحكم والسادة، وقد ترتب على تعريب الدواوين وتوحيد لغة العمل بها في مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية أن أصبحت اللغة العربية، والثقافية العربية، منتشرتين بين كافة الجنسيات اللغوية التي دخلت تحت لواء الحكم الإسلامي، كما تعربت الشعوب الأعجمية التي دخلت تحت لواء الحكم الإسلامي، كما تعربت الشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام، حيث اتخذت من العربية لغة لها، كما اتخذت من الإسلام دينا لها، أما اللغة العربية فقد عجلت عملية تعريب الدواوين بتطويرها وإثرائها بمصطلحات، ومفردات جديدة، وبالتالي أصبحت لغة ثرية، وصارت لغة دين ودنيا معا.

... لقد مكّنت حركة تعريب الدواوين اللغة العربية من التحرك في أوسع ميدان ومن بث مبادئ الدين مباشرة بين الناس، بدون أي واسطة، فقد اضطرت العناصر غير العربية غلى تعلم اللغة العربية، وإتقانها لكي يتصلوا عن طريقها بمصادر الدين الإسلامي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي يستطيعوا أن تكون لهم مكانة ودور داخل نطاق الدولة الإسلامية التي لغتها هي اللغة العربية، وتولي مختلف الوظائف التي لا

[3]- انظر (الجهشياري) الوزراء والكتاب) تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط1 القاهرة سنة 1938م، ص 39.

تتاح بعد تعريب الدواوين إلا لمن يكون حاذقا للغة العربية، لغة الحكم والإدارة والدين في الدولة العربية الإسلامية الجديدة.

...وفي الواقع فإن تعريب الدواوين (يعتبر أعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن نظم وفق خطة شاملة)[4]، لقد كان هذا العمل يعني أكثر من مجرد التعريب لسجلات الضرائب، إنه نشر للثقافة العربية التي طغت على الثقافات الأخرى وطبعتها بطابعها الخاص، وهذا أدى حتما إلى زوال نفوذ ببعض الفئات التي كان كيانها مستمدا من التفوق في الثقافة،والمدنية.

وقد ترتب على إتمام تعريب الدواوين الإدارية في مختلف مناطق الدولة الإسلامية أن تمكنت اللغة العربية من التغلب على اللغات السائدة في العلم وقتذاك وهن اللغات التالية: الفارسية، والإغريقية، والرومية، والقبطية، والبربرية، واللاتينية وأصبحت هي لغة العلم والثقافة والإدارة في وقت واحد.

ب . حركة لتدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية.

...وأما الحركة الثانية التي نشطت منذ أواخر القرن الأوّل الهجري وطوال القرون الثلاثة التالية فهي حركة لغوية رأى القائمون بها وجوب المحافظة على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة الدين الإسلامي الحنيف، من أي تحريف أو تصحيف قد تتعرض لهما من طرف الشعوب غير العربية التي اعتنقت الإسلام، وهكذا نشأ علم النحو، على يدي أبى الأسود الدؤلي، المتوفى سنة 69 هـ، ثم تناوله منه علماء البصرة والكوفة فأكملوه

[4]- انظر عبد الكريم ذنون، تعريب دواوين العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، مجلة آفاق العربية، عدد 12 السنة الرابعة أغسطس (آب) سنة 1979 م، ص 79-98، بغداد.

وفصلوه[5]، كما قام الخليل بن أحمد على تنظيم علوم اللغة العربية يخترع فيها، ويستنبط أصولها من فروعها على طريق لم يسبق غليها، فهو أول مبتكر للمعاجم اللغوية،وهو أول مبتكر لعلم العروض وحصر كل أشعار العرب في بحوره، وهو الذي اخترع علم الموسيقى العربية، وجمع فيه أصناف النغم، وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه اليوم[6].

...وقد قام إلى جانب أبي الأسواد الدؤلي، والخليل بن أحمد وأضرابهما من علماء الكوفة والبصرة وبغداد علماء كثيرون تمحضوا لجمع أشعار العرب، وآدابهم وقصصهم، وأمثالهم، وكل ذلك كان بهدف المحافظة على اللغة العربية، واستنباط مختلف العلوم اللغوية التي تجعل منها لغة غنية في متنها، خصبة في محتواها متينة في قواعدها، وتراكيبها، نذكر مهم على سبيل المثال فقط (الأصمعي) وأبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة معمر بن المثنى، والكسائتي، والفراء، والمفضل الضبيّ وسيبويه.

...ويلاحظ أن البعض من هؤلاء اللغويين هم من العرب الأقحاح، كما أن بعضهم الآخر هم من الفرس الذين أسلموا، مثل أبي عبيدة، والكسائي، وسيبويه، لق أدراك علماء القرون الهجرية الأولى، وبخاصة القرنان الثالث والرابع بثاقب فكرهم دور اللغة العربية الفصحى، في ربط حياة العالم الإسلامي في حضارته، العربي في كتابه وثقافته، برباط متين، وما يتهدد هذه الوحدة من عوامل التفكك والتفرق، إذا ما تركت تلك الرابطة من غير تقنين، وتنظيم، وإذا ما سمح لعوارض اللحن، وخصائص اللهجات الدارجة أن تطغة على اللغة الفصحى، أو تنقص من مظاهر الولاء لها لهذا قاموا بحركتهم الأكاديمية

---

[5]- انظر أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، القاهرة بدون تاريخ، ص 206

[6]-انظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2 ط7 ، النهضة المصلاية، القاهر، سنة 1961، ص 290.

الموفقة، في جمع اللغة العربية، وميز فصيحها وغريبها وقياسها وشاذها، وفي تدوين أدبها الذي كان يعتمد في مرحلة الأولى على الرواية وحفظه من الضياع والخلط والاضطراب، وفي وضع المعايير المقننة للغة وأدبها وبلاغتها، ولم يكن مجهود هؤلاء العلماء في حفظ اللغة والأدب، ونهضة دراساتهما بأقل من مجهود علماء الشريعة في خدمة الدراسات القرآنية وجمع السنة وضبط رواية الحديث، وتطور الفقه والتشريع[7].

...وقد كان من نتائج هذه الحركة اللغوية النشيطة أن أصبحت اللغة العربية منظمة تنظيما دقيقا في نحوها، وصرفها وعروضها، وبلاغتها، مما جعل منها لغة علم، وأدب، ودين ، وإدارة أي: لغة قادرة على التعبير عن خلجات النفس من ناحية، ومبتكرات العقل والفكر من ناحية أخرى، وبذلك صارت لغة قادرة على أداء كل الوظائف المطلوبة من لغة حية نامية، سواء في الآداب والعلوم أم في الإدارة والشؤون الحكم.

ج . حركة ترجمة من مختلف اللغات.

... وأما الحركة الثالثة والأخيرة التي مهدت الطريق إلى اللغة العربية بعد الإسلام لكي تصبح لغة عالمية طوال العصور الوسطى بالاصطلاح الأوروبي لتقسيم التاريخ فهي حركة الترجمة الواسعة النطاق من اللغات الثقافية والحضارية في ذلك الوقت إلى اللغة العربية ابتداء من آواخر القرن الأول الهجري والتي ازدهرت في عصر المأمون بصفة خاصة وخصوصا من اللغات التالية:

[7]-محمد خلف الله أحمد، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، عدد 4، جوان (حزيران)سنة 1973.

1 . اللغة اليونانية، 2 . اللغة الرومية، 3 . اللغة الفارسية، 4 . اللغة الهدية، وقد نهض بعبء هذه الترجمة[8]، عدد من المدارس من بينها المدارس التالية:

1 – مدرسة جند بسابور قرب مدينة البصرة

2– مدرسة نصيبين.

3 – مدرسة حران.

4 – مدرسة الرها.

5 – مدرسة أنطاكية.

6 – مدرسة الإسكندرية.

وقد كانت المدارس المذكورة تغلب عليها اللغة اليونانية حيث ترجمت عن طريقها علوم المنطق والطب والطبيعيات والفلك.

دور بيت الحكمة في بغداد في تطوير اللغة العربية.

وقد بلغت حركة الترجمة إلى اللغة العربية ذروتها في عهد المأمون حيث تحول بيت الحكمة[9]الذي أنشأه هارون الرشيد في بغداد إلى ما يشبه معهدا علميا كبيرا وقد ألحق به مرصد مشهور كان يعمل به علماء كثيرون من مختلف اللغات والثقافات وصار بيت الحكمة بمثابة جامعة كبيرة للترجمة والبحوث العلمية تتصل بها مكتبة ضخمة، ومرصد عظيم، واستمر بيت الحكمة في تغذية اللغة العربية أن أصبح العقل العربية في العصر العباسي الأوّل عقلا متفلسفا، كما أصبح عقلا علميا، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الأوائل فقط، بل أيضا من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة علوما لأول مرة

---

[8]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط2 دار المعارف، ن القاهرة، سنة 1966م، ص 109.

[9]-احمد أمين، ضحى الإسلام، ج1، ط6، النهضة المصرية، القاهرة سنة 1961م، ص 61-66.

في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف (الخوارزمي)علم الجبر الذي أبدعته عبقريته لأول مرة.

... كذلك أظهر أن حركة الترجمة غلى اللغة العربية كانت واسعة النطاق وشملت ما انتجه الأقدمون من فلسفة، وعلم، وطب، وحكمة وفلك، ولم تمض ثمانون عاما على تأسيس مدينة بغداد حتى كان العرب يقرؤون بلغتهم أكثر مؤلفات أفلاطون، والأفلاطونية الحديثة، واهم ما كتبه أبقراط، وجالينوس وإقليدس وبطليموس، وغيرهم من الكتاب والشراح، وبينما كان المسلمون يعيشون في هذه النهضة العلمية كانت علوم اليونان غير معروفة تقريبا للأوروبيين[10]وحسبنا أن نعلم أن العصر الذي أطلع فيه هارون الرشيد[11]والمأمون[12]الشرق الإسلامي على خبايا الفلسفة اليونانية، والفارسية، هو العصر نفسه الذي كان فيه أمثالهما في الغرب مثل (شارلمان) ونبلائه يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم، وقد تبع عصر النقل والترجمة المزدهر في ظل الخلفاء العباسيين الأوائل عصر آخر هو عصر ابتكار بحيث لم يأت القرن العاشر (الميلادي) حتى تطورت اللغة العربية فأصبحت لغة حية قوية، دقيقة البناء، سهلة المنال، تطاوع إرادة الكتاب للتعبير عن الفكر العلمي والآراء الفلسفية العليا، وفي الوقت نفسه صارت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في أقطار مترامية الأطراف تمتد من أواسط آسيا، إلى شمال إفريقيا والأندلس ومنذ دلك الحين أخذت الشعوب التي تسكن العراق وسورية، وفلسطين، وليبيا ومصلا، وتونس والجزائر ومراكش والأندلس، تعبّر عن أسمى ما يدور في خلدها من فكر وأراء بهذه اللغة نفسها.

---

[10]-الفكر الإسلامي منابعه وآثاره، ترجمة الدكتور أحمد شلبي، القاهرة سنة 1966، ص 42-43.

[11]- تولي الخلافة في الفترة (786-809)

[12]- تولي الخلافة في الفترة 813-832م).

ولقد عقب عصر الترجمة (حوالي 750–850) عصر إنتاج وابتكار، أثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم، وتراث اليونان المدرسي وهضمه بل حولوا التراثين لحاجاتهم الخاصة، وطرق تفكيرهم، وأضافوا إليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه.

وقد ظهرت مآثرهم (مآثر العرب) في الطب، والفلسفة، ولكنها تجلت بنوع خاص في الكيمياء والفلك، والرياضيات والجغرافيا.

...أما الترجمات التي قاموا بها فقد طبعتها العلية العربية بطابعها الخاص في الأجيال اللاحقة، ثم اتصلت مع ما اتصل بأوروبا من مبتكراتهم الخاصة سالكة طريق سورية وإسبانيا، وصقلية، وما لبثت أن وضعت أساس حركة العلم والمعرفة التي سيطرت على أوروبا في القرون الوسطى[13]، يقول البحاثة الفرنسي غوستاف لولون في كتابه (حضارة العرب)[14]مصورا كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي: (إن العربية أصبحت لغة عالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماما اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلدان مثل السريانية واليونانية والقبطية، والبربرية، إلى آخره).

...أما في الأندلس فإن اللغة العربية قد قضت تماما على اللغة اللاتينية وهن لغة الكتاب المقدس للمسيحيين حتى إن الكاتب المسيحي (الفارو) وهو من رجال القرن التاسع الميلادي ندد بشدة بجهل مواطنيه باللغة اللاتينية فقال: (إن المسيحيين أصبحوا شغوفين بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية، ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين، لا بقصد تنفيذها، بل من أجل

---

[13]- فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب ج2 ط3، دار الكشاف، بيروت سنة 1969م، ص 444

[14]- ط4 سنة 1964م، ترجمة عادل زعيتر الحلبني، القاهر، ص 440.

التمرن على الأسلوب الصحيح الأنيق في العربية، وجميع الفتيان المسيحيين المبرزين لا يعرفون سوى اللغة العربية والأدب العربي، فهم يقرؤون الكتب العربية، ويدرسونها بكامل الحرارة ويتهافتون على اقتناء المكتبات الضخمة مهما كلفهم ذلك من ثمن، ويعلنون على الملإ حيثما وجدوا أن الأدب العربية شيء بديع) ثم يتأسف الكاتب المسيحي (الفارو) على هذا الوضع فيقول: (ما أعظم الألم ! لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم الدينية، ولا تكاد تجد واحدا بين الألف، يحسن تحرير رسالة باللغة اللاتينية إلى صديق له.

...أما اللغة العربية فإنك تجد أفواجا من الناص يحذقون التعبير بها بكامل الأناقة، بل إنهم يقرضون من الشعر من الوجهة الفنية[15] ما يفرق أشعار العرب أنفسهم).

...وهكذا أصبحت اللغة العربية طوال العصور الوسطى هي اللغة العالمية الأولى في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، فهي لغة الثقافة، وهي لغة التعليم في الجامعات، وهي لغة البحث العلمي، في شتى مجالات البحوث النظرية والتطبيقية على حد سواء، كما أصبحت اللغة العربية هي لغة الاتصالات الدولية بين أمم وشعوب كثيرة، وهذا بشهادة الباحثين والمنصفين من علماء أوروبا نفسها.

جمود اللغة العربية في الانحطاط

وقد أعقب عصر ازدهار اللغة العربية عصر آخر تراجعت فيه عن مكانتها المرموقة وذلك عندما ساد الظلام والانحطاط العالم والإسلامي، ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي حيث انعكس عليها ذلك الوضع باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية تصعد بصعود المجتمع، وتهبط بهبوطه كما قلنا في مقدمة

15- نقلا عن كتاب (التعريب ومستقبل اللغة العربية) للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة سنة 1975م، ص7.

هذه الدراسة، وقد دام هذا الوضع حتى القرن التاسع عشر، حيث بدأت اللغة العربية من جديد تنفض عنها غبار الجمود والتأخر، وتتطلع غلى استعادة دورها القيادي في الحضارة الإنسانية ومما ساعدها على استعادة حيويتها وديناميكيتها هي حركة الترجمة من اللغات الأوروبية الحديثة واحتكاكها بتلك اللغات التي قطعت شوطا بعيدا في مضمار التقدم والازدهار.

...وإذا كانت اللغة العربية في بداية عصر ازدهارها أيام الأمويين والعباسيين قد واجهت مشاكل نابعة منها ذاتيا تقريبا حيث كانت فقيرة في المصطلحات العلمية والإدارية، وليست لها خبرة بمجالات العلوم الطبيعة والهندسية والفلك، فإن المشاكل والصعوبات التي واجهتها في العصر الحديث كانت مختلفة بعض الشيء عن المشاكل السابقة وهي تتمثل في بعض المشاكل التي أثارتها في وجهها بعض الجهات المعادية للعوربة والإسلام بصفة رئيسية.

أعداء اللغة العربية في العصر الحديث:

لقد تكالب على محاربة اللغة العربية في العصر الحديث صنفان من الناس حتى لا تعود من جديد إلى أداء دورها التاريخي والحضاري الذي نهضت به منذ قرون عديدة حيث كانت اللغة الأولى في العالم القديم علميا وإداريا، وحضاريا وثقافيا، وهؤلاء الأعداء هم:

1 – المبشرون، المسيحيون.

2 – المستعمرون، الأوروبيون.

دور المبشرين في محاربة اللغة العربية

لقد قام المبشرون بشن معركة ضارية ضد اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن، واللغة التي تجمع بين مختلف أقطار الأمة العربية، وقد تجلت محاربة المبشرين للغة العربية في الأمرين التاليين:

1 . الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية بدل اللغة العربية الفصحى، في مختلف الأقطار العربية .

2 . الدعوة إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية في الكتابة العربية وكان غرضهم من وراء ذلك تحقيق عدة أهداف تتمثل فيما يل:

أ . القضاء على الدين الإسلامي الذي يعتبر مصدر القوة والمقاومة للعرب المسلمين وهذا يحقق هدفا رئيسيا للمبشرين الحاقدين على الإسلام.

ب . القضاء على الثقافة العربية عن طريق فصل الأجيال العربية الصاعدة عن تراثها الثقافي المكتوب بالحروف العربية منذ ظهور الإسلام وذلك عند استبدال الحروف العربية في الكتابة بالحروف اللاتينية.

ج . القضاء على اللغة العربية الفصحى، واستبدالها باللهجات العامية المحلية لكل قطر عربي وهذا يحقق هدفا استراتيجيا للمبشرين والمستعمرين معا يتمثل في قصم عرى الوحدة القومية بين أقطار الأمة العربية حتى يمكن استعباد العرب جميعا بعد أن تذهب قوتهم التي تتمثل في وحدتهم القومية.

...والدليل على سوء نية المبشرين ضد اللغة العربية الفصحى هو تلك الموجات الضخمة من الدراسات المغرضة التي قام بها البعض منهم من أجل الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية[16]في مختلف الأقطار العربية بدلا العربية الفصحى بقصد تشتيت الصف العربية وتعميق جذور الخلاف بين العرب في لسانهم الموحد الذي هو اللغة العربية المشتركة، ولولا أن اللغة العربية هي لغة

[16]-راجع كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية، للدكتورة نفوسة سعيد، دار المعارف بالقاهرة سنة 1964م ص9

القرآن الكريم، ولغة الذين والحضارة الإسلامية، لتحقق لأعدائها ما كانوا يرمون غلى تحقيقه من وراء نشاطهم المحموم في الدعوة إلى اللهجات العامية، وكذلك في الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، بدل الحروف العربية، فإذا نجح أعداء اللغة العربية (وهم في نفس الوقت أعداء العرب) في تحقيق استعمال العاميات المحلية بدل اللغة الفصحى المشتركة والكتابة بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية فسيصبح لكل قطر عربي لغته الخاصة أو ربما لغاته الخاصة (نظرا لتعدد اللهجات العامية في كل قطر حسب مناطقه) لأن لكل قطر عربي مجموعة من اللهجات العامية، وبذلك تتفرق وحدة العرب، ويتمزق شملهم وبالتالي سوف يسهل على الاستعمار استعبادهم[17]والسيطرة عليهم إلى أبد الأبدين، وهناك خطر آخر لا يقل عن خطر الفرقة السياسة وهو انقطاع الرابطة التي كانت تربط العرب بتراثهم العلمي والثقافي المسجل بالحروف العربية بعد الاستغناء عن الكتابة بالحروف العربية والكتابة بالحروف اللاتينية[18].

دور الاستعمار الأوروبي في محاربة اللغة العربية:

قام المستعمرون من ناحيتهم سواء في المشرق العربي أم في المغرب العربي هم أيضا بشن حرب ضارية ضد اللغة العربية، تمثلت في العمل على أبعادها من كافة مجالات الحياة الثقافية والإدارية، والتربوية، وحصلاها في نطاق الكتاتبت والزوايا، وبعض الجوامع فقط.

ففي المغرب العربي مثلا أقام الاستعمار الفرنسي في كل من تونس والجزائر والمغرب، وخاصة الجزائر سياسته منذ البداية على محاربة اللغة

---

[17]-انظر دكتور تركي رابح، علاقة العامية بالفصحى، دراسة منشورة في مجلة (الأصالة) عدد 25 السنة الرابعة الجزائر مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية سنة 1975م، ص 67 إلى ص 86.

[18]-راجع كتاب (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) ط3، بيروت سنة 1964م، ص 224.

العربية الفصحى وحتى اللهجة العامية العربية لم تسلم هي الأخرى من محاربته، حيث طارد العربية الفصحى من الإدارة والتعليم ووسائل الثقافية المختلفة، وأحل اللغة الفرنسية محلها في كل تلك المجالات، ثم بعد ذبك عمل على تشجيع اللهجات البربرية لكي تحل في الحديث العادي محل العربية سواء كانت فصحى أم عامية، وقد عرفت هده الساسة في تاريخ الاستعمار الفرنسي[19]بالمغرب العربي بالسياسة البربرية وسياسة الفرنسة.

اللغة العربية تنتصر على أعدائها

...ورغم تلك المحاولات المبذولة من طرف المبشرين والمستعمرين وهم الأعداء الرئيسيون للغة العربية ثم بعض أذنابهم من العرب الذين أفلح للاستعمار في إضعاف مقومات شخصيتهم الوطنية في محاولة القضاء على اللغة العربية، إلا أن اللغة العربية قاومت وصمدت وفي النهاية انتصرت عليهم جميعا وواصلت مسيرتها في عزم وثبات نحو استعادة مكانتها الجديرة بها كلغة علم وأدب، وفكر، وتقنية، وحضارة.

...ولا بأس أن نورد هنا واقعة تاريخية حدثت سنة 1923م، حتى نعرف عنف الحرب التي واجهت اللغة العربية إبّان العهد الاستعماري من قبل المبشرين والمستعمرين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم، ففي عام 1923م، قامت مجلة (الهلال) بالقاهرة بطرح مجموعة من الأسئلة حول مستقبل اللغة العربية على طائفة من كبار المفكرين في الوطن العربية في ذلك الوقت، يهمنا منها في هذه الدراسة السؤال التالي وهو:

---

[19]- انظر كتاب(التعليم القومي والشخصية الجزائرية) للدكتور تركي رابح ط2، الفصل الثاني من ص 93 على ص 96 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1981.

(هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالمية وغير العالمية[20]وتعلم بها جميع العلوم) ونحن نورد منها مقتطفات من إجابة الأدب اللبناني جبران خليل جبران عن السؤال المذكور، لأنها تعطينا فكرة واضحة عن الوضعية الشاذة التي وصلت غليها اللغة العربية في مطلع القرن العشرين على يد المبشرين والمستعمرين.

يقول جبران خليل جبران: (لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالمية وغير العالمية، حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدي الجمعيات الخيرية، واللجان الطائفية والبعثات الدينية، إلى أيدي الحكومات المحلية).

(ففي سورية (بلاد لشام) مثلا كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة، وقد كنا ولو نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون، ولقد أحيانا ذلك الخبز لوما أحيانا أماتنا، أحيانا لأنه أيقظ جميع مداركنا ونبه عولنا قليلا، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا، وقطع روابطنا، وابعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة، مختلفة الأذواق، متضاربة المشارب، كل مستعمر فيها تشد في حل إحدى الأمم الغربية، وترفع لواءها، وتترنم بمحاسنها وأمجادها.

((فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع غلى معتمد أمريكي، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيرا فرنسيا، والشاب الذي لبس قميصا من نسج مدرسة روسية أصبح

[20]- انظر فتاوي كبار الكتاب والأدباء، دالا الهلال، مصر سنة 1923م.

ممثلا لروسيا إلى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين، والمعتمدين والسفراء)).

ثم يقول: (نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالمية، وغير العالمية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسة،وتتبلور منازعنا القويمة، لأن في المدرسة تتجوهر المناظر، ولكن لا يتم هذا حتى يصير بإمكاننا تعليم الناشئة على نفقة الأمة، لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا أبنا لوطن واحد، بدلا من وطنين متناقضين))[21].

إن هذه الإجابة المركزة تعطينا فكرة واضحة عن التمزق الذي كان يسود المدارس في الوطن العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر نظرا لاختلاف لغات التعليم فيها وتعدد الاتجاهات الإيديولوجية للتعليم بتعداد اللغات والهيئات والدول المشرفة عليه، وأثر ذلك في تكوين الأجيال العربية تكوينا ممزقا هو الآخر كما أوضحه عليه، (جران) في النص السابق، لأن معظم أقطار الوطن العربية بعد الحرب العالمية الأولى كانت ترزح تحت وطأة الاحتلال الأجنبي سواء كان فرنسيا مثلما هو الحال في بلاد الشام(سورية ولبنان) والجزائر، وتونس والمغرب، وموريتانيا، أم إنكليزيا كما هو الحال في العراق، وفلسطين، والأردن، والخليج العربي، وجنوب اليمن، ومصر والسودان، أم إيطاليا كما هو الحال في ليبيا، أم إسبانيا كما هو الحال في الريف المغربي والصحراء الغربية.

وقد بذلت إيطاليا وبريطانيا وفرنسا، وهي الدول الأوروبية الرئيسية التي بسطت سيطرتها، وخصوصا بريطانيا وفرنسا على معظم أجزاء الوطن العربية ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري كل جهودهما من أجل

---

[21]- انظر كتاب (المجموعة الكاملة) لمؤلفات (جبران خليل جبران) قدم لها واشرف على تنسيقها ميخائل نعيمة (دار صادر، بيروت سنة 1961م، ص 547 غلى ص 584.

القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، ولغة الثقافة العربية، ولغة الحضارة الإسلامية، واستبدالها باللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية.

فلإنكليز مثلا حاولوا عقب احتلالهم لمصر سنة 1882م، أن يقضوا على اللغة العربية الفصحى، كأداة ناجعة ووسيلة فعالة، من أدوات الوحدة الثقافية بين الناطقين بالضاد، ووسائلها المهمة، وفعلت فرنسا نفس الشيء في الأقطار التي خضعت لسيطرتها، كما فعلت إيطاليا في ليبيا نفس العمل، وعملت الدول الثلاث على إحلال لغاتها في التعليم بمختلف مراحله محل اللغة العربية التي اعتبرت لغة أجنبية كما هو الحال في لجزائر على سبيل المثال.

...وقد قاومت الأقطار العربية المعنية تلك المحاولات الاستعمارية الشرسة ضد اللغة العربية مثلما قاومت السيطرة الاستعمارية عن كاهلها شرعت في النهوض بالرجوع إلى (تراثنا الثقافي) وإحياء ما اندثر منه، وجمع ما تبعثر منه في مختلف بلاد العالم.

(فقد بدأت أوروبا مثلا نهضتها الحاضرة بالرجوع غلى تراث الإغريق، والرومان والعرب، حتى إذا ما تكاملت لها أسباب المعرفة وانفتحت على آفاقها راحت تزيد ثروتها العقلية والفنية بدراسات واسعة مفصلة للحضارات القديمة، في مصلا، وبابل والهند، والصين، حتى بلغت ما بلغته من غنى واتساع في مطلع القرن العشرين).

...إن هذه الظاهرة البارزة في النهضة الأوروبية الحديثة، إن كان لها من معنى فإن معناها الوحيد هو أن كل محاولة ترمي إلى صرف العرب عن تراثهم الثقافي والحضاري، وتبديلهم تبديلا جديدا، على أسس مغايرة لثقافتهم الأصلية، سوف تؤول حتما غلى الإخفاق وأنه يستحيل عليهم أن يستردوا استقلالهم

السياسي ومكانتهم تحت الشمس باصطناع ثقافة غير أخلاقهم، التي تكونت عبر العصور من الجاهلية إلى الأدوار الإسلامية إلى العصور الحديثة[22].

...وقد استعادت اللغة العربية الآن في معظم الأقمار العربية وخصوصا في المشرق العربية سيادتها المطلقة في مجالات الثقافة، والفكر، والإدارة، بعد أن تحررت الأقطار العربية من الاحتلال الأجنبي وأصبحت سيّدة مصيرها، وصانعة مستقبلها وتخلّصت من نظم التعليم الاستعمارية التي كانت في جملتها ضد اللغة العربية وما تنطوي عليه من أخطار التمزق والفرقة للأجيال العربية الصاعدة كما شرح ذلك جبران خليل جبران، في النص الذي أوردناه منذ قليل.

بل إن اللغة العربية هي في الوقت الحاضر تشق طريقها بكل عزم وثبات لكي تستعيد دورها التاريخي العظيم الذي لعبته من منتصف القرن السابع الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر منه، عندما أصبحت لغة العلم، والثقافة، والفكر والاتصالات الدولية الوحيدة في العالم القديم، أي: إنّها الآن أصبحت من جديد لغة عالمية مثل اللغات العالمية المعاصرة وهن الإنكليزية والفرنسية، والإسبانية والروسية.

اللغة العربية لغة عالمية، مرة أخرى في العصر الحديث

إن اللغة العربية التي هي لغة لأكثر من 150 مليون نسمة من العرب يقطنون رقعة شاسعة في قارتي آسيا وإفريقيا، ويتوفرون على ثروات طائلة، وموقع استراتيجي فريد من نوعه، هي الآن لغة عالمية وذلك بنا على عدد من الشواهد والاعتبارات التي لا تخفي على الباحث المتتبع لتطورات العالم العربي واللغة العربية في وقت واحد ففي العالم العربية اليوم نهضة علمية، وثقافية، مرموقة، وتطور صناعي وزراعي لا بأس بهما، وهو عازم على امتلاك

[22]-عبد اللطيف شرارة، الجانب الثقافي من القومية العربية، دار العلم للملايين، بيروت سنة 1961م ص 134.

التكنولوجيا الحديثة التي بواسطتها يستطيع تطوير صناعته وزراعته حتى يخرج من دائرة التخلف، إن عدد الجامعات في العالم عدد طلبة البعثات العلمية العرب في أمريكا وأوروبا ودول المعسكر الشرقي يعدون بعشرات الآلاف في مختلف التخصصات العليمة.

وهناك مجموعة من المجامع اللغوية في العالم العربي تعمل على النهوض باللغة العربية، وإغناء متنها بالمصطلحات العلمية الحديثة، في شتى العلوم والفنون كما أن هناك حركة ترجمة نشيطة من مختلف لغات العالم الحية إلى اللغة العربية، وهناك إلى جانب ذلك عدد من المجامع العلمية تعنى بالبحوث العليمة في مجالات العلوم التطبيقية بالإضافة إلى أن موقع العالم العربية استراتيجي، قد جعل منه نقطة التقاء لمختلف التيارات الفكرية والسياسية، والحضارية والثقافية المعاصرة، فإذا أضفنا إلى العوامل السابقة ما تزخر به المنطقة العربية من ثروة نفطية هائلة، والنفط هو عصب الحضارة العصرية، إذا عرفنا كل هذه الأمور لا نكون مغلين إذا ما قلنا تلعب دورها الحضاري والروحي في العالم المعاصر مثلما لعبته في العصور الإسلامية الزاهرة، وأن اللغة العربية هي الأخرى أصبحت لغة عالمية تؤد ي دورها في المسرح الدولي كأقدم لغة حضارية تضرب بذورها في أعماق التاريخ الإنساني.

إن اللغة العربية اليوم تتمتع بمكانة مرموقة سواء في العالم الإسلامي أو غير الإسلامي.

مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي

لعل من أهم العوامل التي ساعدت في الماضي وتساعد في الحاضر، والمستقبل على جعل اللغة العربية لغة ذات مكانة خاصة عند المسلمين هي أنها لغة القرآن الكريم والقرآن هو كتاب دين المسلمين يقرؤون أبناؤهم منذ

الصغر، ويحفظونه كله أو جله وهي التي يؤدون بها الصلوات الخمس في كل يوم وليلة وبالتالي فكل المسلمين حيثما كانوا ومهما كانت اللغات التي يتحدثون بها فهم يحبون اللغة العربية، ويحاولون و تعلمها حتى يتصلوا عن طريقها بمصادر الدين الإسلامي في القرآن والحديث، وسيرة السلف الصالح فالمسلمون في إندونيسيا وباكستان، وبنغلادش، والملاوي، والهند، ونيجيريا والكامرون وتشاد ومالي وغيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى في قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا يكنّون في نفوسهم الحب والتقدير، والولاء للغة العربية، لأنّها لغة القرآن، كتاب دينهم الذي يدينون به، ويزداد حرصهم من يوم إلى آخر على تزويد شبابهم بها، ويطالبون أقطار الأمة العربية بأن تمدّهم بالمعلمين والأساتذة لكي يقوموا على نشر اللغة العربية في مدارسهم وجامعاتهم، بل إن بعضهم كما هو الحال في الباكستان مثلا يقترحون أن تصبح اللغة العربية إحدى اللغات الأساسية في أنظمة تعليمهم وثقافتهم بل إن بعضهم يتمنى مخلصا أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الرسمية عندهم إذن فإن مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي مكانة مرموقة، وهي واسعة الانتشار بين شبابه وتلامذته، وسوف تزداد انتشارا بين المسلمين كلما ازداد التعليم انتشارا بينهم، وزالت الأمية عن جماهيرهم، فإذا عرفنا أن تعداد المسلمين في العالم اليوم يربو على 700 مليون نسمة فإن اللغة العربية سوف تصبح في مستقبل الأيام من أوسع لغات انتشارا ولا يتقدمها في هذا الميدان سوى اللغة الصينية فقط.

...وفي القارة الإفريقية التي توصف فيما يتعلق باللغات بأنها واحدة من أكثرالقارات تعقيدا حيث يوجد فيها ما يقرب من (800) لغة، وليس هذا التعقيد على مستوى القارة فحسب بل هو يتجاوزها ليفرض نفسه في الدولة الواحدة، ففي دولة نيجيريا على سبيل المثال عشرات اللغات المنطوقة وهكذا غيرها من

الدول الأخرى وبذلك تنتشر في إفريقيا ظاهرة استعمال اللغات الأوروبية مثل الإنكليزية والفرنسية البرتغالية، والبلجيكية، والألمانية ومنذ عام 1961م، ظهرت عدة حركات لإحياء اللغات الوطنية والقومية، وقد أدت الدعوة النشيطة غلى إحياء اللغات الإفريقية الوطنية إلى عودة تبؤ اللغة العربية مكانتها كلغة حضارية لأكثر من نصف تعداد سكان القارة الإفريقية (مصر السودان ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، الصحراء الغربية، الصومال، جيبوتي).

مكانة اللغة العربية في العالم غير الإسلامي:

وإذا، انتقلنا من العالم الإسلامي إلى العالم الإسلامي إلى العالم غير الإسلامي في أوروبا وأمريكا وإفريقيا، فإننا نلاحظ أن اللغة العربية قد فرضت نفسها في السنوات القليلة الماضية في البلدان الأوروبية والأميريكية في الأقطار العربية، وخاصة النفطية منها التي شهدت نهضة عمرانية واقتصادية، وإنمائية هامة نتيجة استثمار البعض من عائدات النفط الضخمة في خطط التنمية ومشاريعها.

وتأتي في مقدمة البلدان التي تنشر اللغة العربية في جامعاتها، ومعاهدها ومدارسها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يزداد الإقبال فيها على تعلم اللغة العربية بكثرة، وخاصة بين صفوف رجال المال والأعمال نظرا للمصالح الأمريكية الضخمة في الوطن العربي.

...وفي طول الولايات المتحدة وعرضها يلاحظ المراقب زيادة مفاجئة في عدد الأميريكيين الذين يلتحقون بدروس تعليم اللغة العربية في المدارس، وأقسام اللغة العربية في الجامعات ويبدو اهتمام الأمريكيين باللغة العربية إلى درجة أن أحد أساتذة الجامعات وهو الدكتور، بابير ماكاي، من جامعة ولاية واشنطن، ابتكر حاسبا إلكترونيا مبرمجا باللغة العربية وقد استغرق العمل

لإنجازه سبع سنوات[23]وهكذا يتضح أن الإقبال على تعلم اللغة العربية من قبل الأمريكيين يتزايد باطراد في الوقت الحاضر، نظرا لأهمية لغة الضاد في دنيا التجارة، والصناعة والسياسة والمال.

أما في القارة الأوروبية فإن الإقبال على تعلم اللغة العربية يتزايد يوما بعد يوم في معظم الدول الأوروبية مثل بريطانيا، وألمانيا، وروسيا، ومالطة واليونان وغيرها من الدول الأوروبية الأخرى.

...وإلى جانب الإقبال على تعلم اللغة العربية في أمريكا وأوروبا فإنك لن تجد إذاعة سواء في أمريكا أم أوروبا إلا وهي تخصص حيزا هاما لبرامج باللغة العربية سواء بالنهار أم الليل، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك العشرات من الجزائر والمجلات التي تصدر باللغة العربية من مختلف العواصم الأوروبية والأمريكية، وتقوم الجاليات العربية الكبيرة العدد في أمريكا وأوروبا واستراليا بعمل نشيط في نشر اللغة العربية في الأوساط التي تعيش فيها، وتعليمها للراغبين في تعلمها.

...ويلاحظ أن اللغة العربية أصبحت لغة رسمية في كل من موريتانيا، والصومال وجيبوتي، وجزر القمر، فضلا عن إقرار الجمعية الوطنية في السنغال اللغة العربية كلغة إلزامية في المناهج الدراسية، وإقرار تدريس اللغة العربية في غينيا منذ استقلالها في عام 1960.

...ويبدو حسب الظواهر الملاحظة أنه لن يمضي وقت طويل حتى يعم تدريس اللغة العربية في القارة الإفريقية، وذلك نظرا لانتشار الدين الإسلامي في معظم أقطارها[24].

---

[23]-مجلة دراسات عربية، عدد أ، السنة 14 ، نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 1977م.

[24]-إحسان جعفر ، مجلة الثقافة العربية، عدد6 السنة الخامسة جوان (حزيران) سنة 1968م، ص 62.

...ومن المعروف تاريخيا أن الإسلام يعتبر من أهم عوامل انتشار اللغة العربية في العام وخاصة في إفريقيا وآسيا، لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ومن الصعب على المسلم غير العربي أن يفهم دينه على خير ما يرام ما لم يقرأ القرآن باللغة العربية لهذا نجد أن المسلمين غير العرب يقبلون على تعلم اللغة العربية أكثر من غيرهم نظرا للترابط الروحي بين الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم (اللغة العربية).

...ومن الممكن للدول الإفريقية التي تعاني من مشكلة اللغة أن تتخذ العربية لغة لها، وخصوصا إذا كانت دولة ينتشر فيها الإسلام مثل نيجيريا، والكامرون، وغينيا وبذلك تتخلص من واقع اللغات الإفريقية الضعيفة من ناحية، وكذلك من عقدة اللغات الأوروبية الموروثة من عهد الاستعمار من ناحية أخرى، غير أن إقدام إفريقيا على اصطناع اللغة العربية يتوقف على مستقبل اللغة العربية نفسها وعلى وضع سياسة عربية موحدة نحو نشر اللغة على مستوى عالمي وتوفير الإمكانيات التي تساعد على نشرها في إفريقيا، مثل تكوين المعلمين بأعداد كافية وتدريس العربية بالطرق السمعية البصرية الحديثة والعمل على افتتاح فروع للجامعات العربية في القارة الإفريقية، وتخصص المنح الدراسية السخية للطلبة الأفارقة من الدول العربية إلى غير ذلك من الأمور المساعدة على نشر اللغة العربية في مختلف المناطق الإفريقية.

...إن ظاهرة انتشار اللغة العربية من جديد على مستوى العالمي في الوقت الحاضر . وسوف يكون في المستقبل أكثر من الآن . ليست إلا استمرار المسيرة اللغة العربية التاريخية، منذ القرن السابع الميلادي عندما أصبحت لغة عالمية، وقد عبر المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) عن أهمية اللغة العربية كلغة دولية فقال: (إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان

الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دوليا، لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم المستقلة في المستقبل)[25].

وفي عام 1967م، أعلن رئيس الاتحاد الدولي لمترجمي المؤتمرات السيد (جون هابرت) في مؤتمر للمترجمين عقد في مدينة جنيف السويسرية قائلا: (تبرز اللغة العربية في طريقها لأن تصبح أكثر فأكثر كلغة عالمية)[26].

اللغة العربية لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة:

ومن أبرز الخطوات التي خطتها اللغة العربية خلال السبعينيات من هذا القرن نحو العالمية هو اعتمادها كلغة رسمية، ولغة عمل، في الجمعية العامة للأمم المتحدة ففي الدورة الثامنة والعشرين[27]المنعقدة في عام 1973م، وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على اقتراح (لجنة شؤون الإدارة والموازنة) بجعل اللغة العربية لغة رسمية، ولغة عمل في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولجانها السبع الرئيسية، وذلك ابتداء من أول يناير (كانون الثاني) سنة 1974م، وبذلك أصبحت اللغة العربية أول لغة في العالم تضاف إلى اللغات الخمس الرسمية في الجمعية العامة منذ إقرارها في عام 1946م، وبهذا أصبحت اللغة العربية لأول مرة في التاريخ الحديث، واحدة من اللغات الدولية المستعملة في الأمم المتحدة إلى جانب اللغات المستعملة فيها هي: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والروسية، والصينية، وقد نوهت الجمعية العامة في قرارها بجعل اللغة العربية لغة رسمية في أعمالها وبالدور الذي بلغته اللغة العربية منذ عام 1974م، يعني أنها أصبحت اليوم تستخدم في الأمم المتحدة في الحديث

---

[25]- مجلة دراسات عربية، مرجع سابق ص 43.

[26]- مجلة دراسات عربية ، مرجع سابق ص 39.

[27]- انظر صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية (عدد 10) فبراير (شباط)، مارس (آذار) أبريل (نيسان) سنة 1999م، بيروت ص 288 إصدار مكتب اليونسكو للتربية في البلاد العربية، بيروت.

وإلقاء الخطب والكلمات الرسمية، وإصدار الوثائق وفي الترجمة الفورية إلى اللغات الرسمية الخمس كما تترجم اللغات الخمس الأخرى إلى اللغة العربية.

ولغة رسمية في المنظمة الوحدة الإفريقية:

وكما اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة ولجانها والمنظمات الدولية التابعة لها، مثل منظمة اليونسكو، وهيئة الصحة العالمية ومنظمة الطفولة، وغيرها من المنظمات التابعة للأمم المتحدة.

فقد اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الوحدة الأفريقية جنبا إلى جنب مع اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية، وذلك منذ عام 1973م، فهي واحدة من اللغات الرسمية التي تسير بها أعمال ومؤتمرات منظمة الوحدة الإفريقية.

اللغات الرئيسية في العالم المعاصر:

والجدير بالملاحظة أن هناك اثنتي عشرة لغة رئيسية في العالم مستعملة في عصرنا الحديث من بينها اللغة العربية التي تأتي نسبيا في الدرجة التاسعة في الترتيب العام بالنسبة لعدد المتكلمين بها، وهذه اللغات هي كما يلي حسب الترتيب:

1- اللغة الصينية التي يتكلمها 25 %من جملة سكان العالم.
2- اللغة الإنكليزية التي يتكلمها 11% من جملة سكان العالم.
3- اللغة الروسية التي يتكلمها 8,3% من جملة سكان العالم.
4- اللغة الهندية التي يتكلمها 25،6% من جملة سكان العالم.
5- اللغة الإسبانية التي يتكلمها 25،6% من جملة سكان العالم.
6- اللغة الألمانية التي يتكلمها 75،3% من جملة سكان العالم.

7- اللغة اليابانية التي يتكلمها 75،3% من جملة سكان العالم.

8- اللغة البنغالية التي يتكلمها 3% من جملة سكان العالم.

9- اللغة العربية التي يتكلمها 7،2% من جملة سكان العالم.

10-اللغة الفرنسية التي يتكلمها 7،2 من جملة سكان العالم.

11-اللغة البرتغالية التي يتكلمها 5،2% من جملة سكان العالم.

12-اللغة الإيطالية التي يتكلمها 1،2% من جملة سكان العالم.

خاتمة الدراسة:

في خاتمة هذه الدراسة يمكننا على ضوء الحقائق والظواهر التي ذكرناها سواء على النطاق العربي أم الإسلامي، أم الإقليمي، أم الدولي بالنسبة للخطوات التي قطعتها اللغة العربية نحو العالمية في السنوات الماضية، يمكنان التنبؤ بأن اللغة العربية التي كانت لغة عالمية ابتداء من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثامن الهجري لكي تؤدي دورها الحضاري والروحي، والعلمي في العالم لأنها لغة كما قالت الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ((قد ساهمت مساهمة كبيرة في الحفاظ على حضارة الإنسان، وتراثه الثقافي، وفي العلم على نشرها وقد ارتكزت اللغة العربية في بداية نهضتها لكي تصبح لغة عالمية على ثلاث دعائم أساسية هي:

1- التعريب (تعريب الدواوين أي الإدارة) الذي نهض به الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ابتداء من عام 76 هجرية والذي جعل من اللغة العربية لغة إدارية ممتازة.

2- إصلاح متن اللغة وتقعيد قواعدها على أسس علمية، وقد ظهر ذلك في الحركة اللغوية النشيطة التي نهضت بها مدرسة الكوفة، والبصرة، وبغداد لمدة قرن.

3- الترجمة الواسعة النطاق من اللغات العلمية والحضارية قبل الإسلام إلى اللغة العربية التي نهضت بها عدة مدارس من بينها بيت الحكمة في بغداد بحيث لم تمض ثلاثة قرون على ظهور الإسلام حتى أصبحت اللغة العربية من أغنى اللغات وأرقاها وبذلك صارت لغة العالم القديم كله.

ويبدو لي في الوقت الحاضر أن مما يساعد على التعجيل بتمكين اللغة العربية من أن تصبح فعلا لغة علوم وتقنية هو الإسراع في تعريب التعليم في كافة المراحل بعد وضع خطة علمية شاملة لذلك على أن تكون متبوعة بتعريب الإدارة في البلدان العربية التي لم تتحقق عندها عملية تعريبها حتى الآن مثل (الجزائر وتونس والمغرب).

وإلى جانب ذلك ينبغي تنظيم وتدعيم هيئات وجهات الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية على مستوى الوطن العربي، وأن نعمل مثلما عملت اليابان في بداية نهضتها العلمية والصناعية وذلك بتعيين مجموعة من العلماء في كل سفارة عربية في الدول الأجنبية ينحصر عملهم في اقتناء الكتب العلمية الهامة التي تصدر في تلك الدول وترجمتها إلى اللغة العربية أولا بأول وبذلك تصبح اللغة العربية مسايرة للتطور العلمي والتكنولوجي في العالم كله، بالإضافة إلى العناية بتدريس اللغات الأجنبية ذات المستوى العلمي والتقني الرفيع، ووضع سياسة علمية واضحة لتعليم اللغات الأجنبية في المدارس والجامعات العربية.

كذلك ينبغي العمل على تنشيط المجامع اللغوية في البلاد العربية من أجل تسهيل قواعد اللغة العربية وتبسيطها، وإثراء معجمها بالمصطلحات العلمية والفنية الحديثة.

إلى جانب ذلك ينبغي العمل على استنباط طرق علمية وتربوية لتسهيل تعليم اللغة العربية للأجانب مع الإكثار من معامل ومخابر تعليم اللغة العربية بالطرق السمعية والبصرية في الجامعات وأقسام اللغة العربية في مختلف أقطار الوطن العربي.

كذلك ينبغي العمل على إنشاء المراكز الثقافية العربية في البلدان الأجنبية لتعليم اللغة العربية للراغبين في تعلمها مثلما يفعل الإنكليز والأمريكان والفرنسيون وغيرهم من أجل نشر لغاتهم بين الشعوب العالم.

هذه الأمور باختصار وتركيز مجتمعة يمكن عن طريقها في نظري . بالإضافة إلى النجاحات التي حققتها اللغة العربية فعلا حتى الآن نحو العالمية . أن تصبح اللغة العربية لغة عالمية فعلا وبصفة عملية وأن تتبوأ مكانتها المرموقة في المجتمع الدولي كلغة علم، ودين، وثقافة وحضارة متطورة.